تطور سكان فلسطين من سنة 1917 إلى سنة 1948

أ/ محمد بك
طالب دكتوراه مسجل بجامعة عنابة

ملخص:

ما نلاحظه بالنسبة للنمو الديموغرافي في فلسطين زيادة معتبرة في عدد سكان فلسطين خلال فترة الاستعمار البريطاني وهذا نتيجة لظروف وشروط اجتماعية واقتصادية وسياسية، مع هجرة اليهود المتزايدة إلى فلسطين.

Résumé

La Remarque de la progression démographique au Palestine pendant l'époque colonial Britannique due descondition social, économique, politique et l'émigration juive au Palestine.

مقدمة:

لم يشهد بلد من البلدان ما شاهدته فلسطين من محاولة إحلال عنصر دخيل محل سكانها الأصليين في فترة قصيرة من الزمن، مع ما صاحب هذا من خداع الحكام وتآمر المغتصبين، تدمير للبنى والمؤسسات وتهجير للعرب، وهذا المقال يحاول أن يتناول أثر الهجرة الأجنبية في تركيب سكان فلسطين العنصري والديني، وتركيبه العمري والجنسي، كما يحاول أن يبرز أثر ذلك في اختلاف كثافات السكان في فلسطين، وأنماط العمران المختلفة، وعلاقة ذلك باستخدام الأرض وهو يحاول أن يجيب عن التساؤل حول طاقة وقدرة البلاد في استيعاب السكان.

تتمتع فلسطين بموقع ممتاز إذ تتوسط الوطن العربي وهي تربط بين قارتي أفريقيا وآسيا وهي معبر بري ومائي هام للتجارة بين الغرب والشرق منذ القديم وتنقسم فلسطين جغرافيا إلى أربعة أقاليم تتمثل في أقاليم المرتفعات في هضبة فلسطين الوسطى والسامرية والجليل، والسهول الخمسة، السهل الساحلي، بين البحر والهضبة الوسطى وسهل عكا بين خليج عكا وتلال الجليل وسهل مرج بن عامر أو السهل الأوسط بين مرتفعات الجليل ومرتفعات السامرية، سهل الحولة وسهل الأردن الغربي وسهل بير السبع بين لهضبة الوسطى في الشمال وهضبة النجب في الجنوب. أخيرا برية شرق فلسطين الجافة وصحراء النجب إلى أي حد تستطيع هذه الأقسام الجغرافية أن تقدم إمكانات زراعية ومجالات للتوسع الزراعي؟ كانت مساحة الأراضي الصالحة للزراعة في فلسطين في أواخر القرن 19 م 8,76 دونم أي مايعادل 33 بالمائة من مجموع الأراضي، وقد قدرت اللجنة البريطانية الملكية للأراضي عام 1930 مساحة الأرض الصالحة للزراعة بنحو 12230000 دونما متريا. كما إن مساحة الأرض المزروعة فعلا عام 1944-1945 لم تزد عن 6,5 مليون دونما[(1)]

نمو السكان: كان تعداد السكان في فلسطين في تزايد مطرد طوال العقود الثلاثة الأولى من القرن 19 م، بعد أن خفت وطأة الأمراض المتوطنة من جراء التقدم الذي حصل في التغذية والعلاج، كان ثلثا السكان يعيشون في 657 قرية والثلث الباقي في المدن والبلدات الرئيسية وعددها ثلاث عشرة. كان تقدير السكان عام 1914 أي في نهاية العهد التركي 689300 نسمة، بينما قدرهم البريطانيون عام 1920 بنحو 673200 نسمة. وليس لدينا عن عدد السكان في العصور السابقة سوى تخمينات للرحالة والحجاج. وهي جميعا تشير إلى تدهور السكان في العهد التركي ففي أعوام 1865-1866 حدث **وباء الكوليرا** قضى على عدد كبير من السكان، كما أن التجنيد الإلزامي

الذي أرسل بموجبه الرجال الفلسطينيون إلى حروب البلقان في(1876-1877) عمل بدوره على الفتك بأعداد أخرى من سكان البلاد، إذ يقدر الذين قتلوا في تلك الحروب من سكان فلسطين بعشرة آلاف رجل ويضاف إلى هذا هجرة المسحيين إلى العالم الجديد.أما بعد زوال الأوبئة فقد تزايد عدد السكان سريعا من نحو نصف مليون إلى أكثر من 700 ألف نسمة في الفترة من عام 1880 إلى عام 1913 م ومهما يكن من أمر فلم تكن فلسطين خالية من السكان كما يزعم الصهاينة.[2]

قد أجريت عدة تعدادات سكانية في فلسطين في غضون الانتداب البريطاني. وكان أول تعداد للسكان في 23 أكتوبر سنة 1922 ثم أجري تعداد عام للسكان سنة 1931. ثم أجرت حكومة إسرائيل تعدادا لفلسطين المحتلة في نوفمبر 1948. بموجب الإحصاء السكاني لعام 1922 الذي أجرته حكومة الانتداب بلغ عدد السكان 757182 نسمة 89 بالمائة منهم من العرب الفلسطينيين و11 بالمائة من اليهود، كان معظم اليهود يعيشون في المناطق الحضرية من القدس الغربية الجديدة، وفي يافا وتل أبيب[3].

السنة	المجموع	المسلمون	المسيحيون	الدروز	اليهود
1922	752048	589177	71464	7028	83794
1931	1035821	759712	91398	9148	174610

يتبين من هذا الجدول أن سكان فلسطين قد ازدادوا في هذه الفترة بمقدار 42 بالمائة أو بمعدل 3,9 بالمائة في العام. غير أن هذا المعدل كان يختلف من مكان إلى آخر، إذ بينما تعود زيادة السكان العرب إلى العامل الطبيعي وحده، أي زيادة المواليد على الوفيات[4]، أما بالنسبة لليهود في فلسطين، فجاء النمو الديمغرافي نتيجة للهجرة، أي ما نسبته 72 بالمائة، في حين شكل الازدياد الطبيعي نسبة 28 بالمائة فقط[5]. لقد اتخذت الإجراءات الصارمة ضد أي هجرة عربية مهما كانت محدودة، فعندما بدأ أن بعض السوريين والأردنيين أخذوا يستقرون في فلسطين قامت الشرطة بالبحث عنهم بهدف اعتقالهم ثم ترحيلهم[6]. ومن ثم كان تفصيل الزيادة السكانية تختلف مكانيا من مركز إلى آخر. ضاعفت حيفا عدد سكانها، فإن القدس ويافا وبيسان كانت قد نمت بمعدل يتراوح بين 40-100 بالمائة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت المراكز المسلمة مثل الخليل ونابلس وجنين هي أقل المراكز نموا، وكانت تشاركها في هذا صفد وعكا وبيت لحم، حيث توجد أقليات مسيحية كبيرة بجانب المسلمين.

في هذه الفترة ازداد عدد السكان اليهود بمقدار 104 بالمائة ؛ بينما كانت زيادة المسلمين بمقدار 29,5 بالمائة وزيادة المسيحيين وغيرهم بمقدار 21 بالمائة. وبينما كانت نسبة المسلمين 75 بالمائة من السكان تضيف 63 بالمائة من الزيادة، فإن نسبة المسيحيين كانت 12 بالمائة من السكان وهذه أضافت 6 بالمائة من الزيادة السكانية. أما المراكز التي زاد فيها عدد السكان زيادة تفوق معدل الزيادة العامة لفلسطين كلها، فهي حيفا وبيسان في الشمال ويافا والقدس وأريحا في الوسط. وهي المراكز التي بدأت تأخذ بأسباب التنمية الاقتصادية. أما الرملة وطولكرم فكانت زيادتها تقل عن معدل زيادة سكان فلسطين بصفة عامة .

وكانت الزيادة أقل بشكل كبير من معدل الزيادة العام في كل من غزة والخليل وراماالله ونابلس وجنين والناصرة وطبرية، وهي المراكز العربية التي لم تجتذب الهجرة اليهودية. وقد ظلت الخليل مدينة إسلامية ذات أقلية مسيحية صغيرة. بينما كانت طبرية مدينة مسيحية أصلا اجتذبت فيما بعد بعض المسلمين واليهود. وكانت راماالله ذات أغلبية مسيحية. وأقل المراكز نموا على الإطلاق هي بيت لحم وعكا وصفد. وشهدت بيت لحم حركة هجرة خارجية للمسيحيين نحو الولايات المتحدة، فحل محلهم المسلمون وقليل من اليهود.

وكانت حيفا مركز جذب سكاني شديد بسبب نموها كميناء ليس لفلسطين فقط، بل لشرق الأردن أيضا في فترة الانتداب البريطاني ومن ثم هاجر عدد كبير من عرب عكا وصفد إليها. وكانت هناك هجرة طاردة من بيت لحم والخليل وغزة في الجنوب عكا وصفد في الشمال بينما كانت هناك هجرة جاذبة إلى حيفا وبيسان ويافا والقدس وأريحا وراماالله وطبرية. كما أن بير السبع والرملة ونابلس وجنين فقدت عددا من سكانها، بينما اكتسبت الناصرة وطولكرم زيادة ضئيلة .

وفي منتصف القرن 19 م كان نحو 85 بالمائة من السكان من المسلمين و11 بالمائة من المسيحيين يعيشون في المدن الرئيسية والقرى المجاورة للقدس، وأقل من 4 بالمائة من اليهود كانوا يعيشون في القدس والخليل وصفد وطبرية(7). واهتم إحصاء عام 1931 بتسجيل ديانة السكان واتخذ الدين معيارا لتصنيف عناصر السكان؛ كما انه اهتم بالقومية وموطن الميلاد ويظهر من هذا التصنيف العناصر الدينية الثلاثة التالية:

1- **المسلمون**، وبلغ عددهم حسب تعداد1931 – 692159 نسمة 92,2 بالمائة منهم أي 680633 نسمة مولود في فلسطين.
2 -**المسيحيون**:و قد بلغ عددهم في هذا التعداد 91398 نسمة 80,5 بالمائة منهم أو 73564 نسمة مولودة في فلسطين، و4565 بالمائة موظفون بريطانيون.

3 – **اليهود:** وقد بلغ عددهم في هذا التعداد 174610 نسمة 42 بالمائة منهم أو 33195 نسمة مولودون في فلسطين.

من هذه الإحصائية يتبين أن 99,6 بالمائة من المسلمين عرب فلسطينيون والباقون عرب مصريون أو سوريون أو مغاربة، وأن 80,2 بالمائة من المسيحيين عرب.إما موظفون بريطانيون أو من رجال الدين المسيحي الأوربيين. يضاف إلى هذا 87 يهوديا قالوا إنهم عرب القومية، 9116 درزيا عربيا أيضا .أما من حيث الجنسية فقد كان 99 بالمائة من المسلمين و85,6 بالمائة من العرب المسيحيين يحملون الجنسية الفلسطينية، بينما لم يكن يحملها من اليهود سوى 57,6 بالمائة فقط.

وصل عدد السكان في نهاية هذه الفترة إلى 1478000 نسمة. وكان معظم هذه الزيادة نتيجة للهجرة اليهودية؛ إذ ارتفع معدل زيادة اليهود من104 بالمائة في الفترة السابقة إلى 165 بالمائة في الفترة الثانية، بينما هبطت نسبة زيادة المسلمين من 29 بالمائة إلى 27 بالمائة في نفس الفترة.

وتتوزع الزيادة في هذا العقد والتي بلغت نحو نصف مليون نسمة على النحو التالي:

57 بالمائة للسكان اليهود 37 بالمائة للسكان المسلمين و6 بالمائة للمسيحيين وغيرهم وكان هذا من شأنه تغيير نسب عناصر السكان الدينية، فبعد أن كان ¾ من السكان مسلمين، أصبح 3/5 فقط منهم مسلمين. وبعد أن كان المسيحيون يمثلون ثمن عدد السكان أصبحوا لا يمثلون سوى 1/11 من السكان. بينما ارتفعت نسبة السكان اليهود من 12,5 بالمائة إلى 30 بالمائة من السكان في فترة تقل عن عشر سنوات(8).

قدر العدد الإجمالي للسكان العرب واليهود قرابة2 مليون نسمة نهاية سنة 1946، وكان العرب يشكلون، 69,2 بالمائة من مجموع السكان أي1364300 نسمة ثم تدنت نسبتهم إلى45,7 بالمائة أي 1209100 نسمة سنة 1952(9). (مرجع ص12 –106–) أما اليهود كانوا يمثلون حوالي 31 بالمائة وقدر العدد 608000 نسمة وفي سنة 1947 شكل العرب 67 بالمائة وقدر العدد حينها 1300000 نسمة، واليهود 33 بالمائة أي 640298 نسمة(10).

كثافة السكان من 1922–1948:

ارتفعت كثافة السكان في فلسطين باطراد من 20 نسمة في الكلم2 عام 1920 إلى 56 نسمة عام 941. وإذ أخرجنا النجب (وهي تمثل نصف مساحة فلسطين) فإن

الكثافة ترتفع إلى 108 في الكلم2، ولقد حذر كثير من علماء السكان حينئذ من تفاقم مشكلة السكان في فلسطين، على ضوء إمكاناتها الزراعية والمعدنية المحدودة.

وتختلف كثافة السكان باختلاف تضاريس الأرض وتوافر الثروة المائية فهناك المناطق الجافة وشبه الجافة في النجب وبير السبع والسفوح الشرقية لهضبة فلسطين الوسطى. ويعتبر سهل مرج بن عامر أعلى المناطق الزراعية كثافة، إضافة إلى السهل الساحلي من يافا إلى الكرمل.

ويبين الجدول الآتي زيادة كثافة السكان في المراكز المختلفة :

مركزحيفا	من93 إلى 190 شخصا في الكلم^{2}.
مركز الناصرة	من 56 إلى 76 شخصا في الكلم^{2}.
مركز طبرية	من 60 إلى 78 شخصا في الكلم^{2}.
مركز بيسان	من 38 إلى 54 شخصا في الكلم^{2}.
مركز يافا	من 434 إلى 972 شخصا في الكلم^{2}.
مركز الرملة	من 87 إلى 117 شخصا في الكلم^{2}.
مركز غزة	من 79 إلى 100 شخصا في الكلم^{2}.

ولم يكن هناك مركز واحد يتمتع فيه اليهود بأغلبية عددية في فلسطين عام 1948 وإن كانوا يكونون أقلية كبيرة العدد في وادي مرج بن عامر والسهل الساحلي والقطاع الأوسط يافا – القدس – أريحا.

وتوضع الإحصائية التالية تطور نسب المجموعات الدينية الرئيسية في أقسام فلسطين المختلفة طبقا لإحصائية عام 1944.

المسلمون			المسيحيون			اليهود			غيرهم		
1922	1931	1944	1922	1931	1944	1922	1931	1944	1922	1931	1944
78	73,7	58,6	9,6	8,8	8	11,1	16,9	32,6	1,3	1	0,8

الزيادة الطبيعية: لقد كانت نسبة المواليد في فلسطين مرتفعة دائما، غير أن نسبة الوفيات أيضا كانت مرتفعة، كما أن السلطة التركية كانت تجند الشباب في الجيش، وكانت هناك هجرة مستمرة من بين المسيحيين بصفة خاصة نحو القارة الأمريكية، كما تراجعت الهجرة العربية إلى خارج فلسطين في عهد الانتداب البريطاني. وقد ساعد إدخال وسائل التحصين ضد الأوبئة والأمراض على تخفيض معدلات الوفيات وقدرت معدلات المواليد في السنوات العشر الأولى للانتداب البريطاني بنحو 50,06 في الألف، وانخفضت بالنسبة لفلسطين كلها عام 1944 إلى 38,58 في الألف(11).

و يعد معدل مواليد العرب ولاسيما المسلمون من أعلى معدلات العالم أجمع؛ فقد وصلت عام 1926 إلى 55,5 في الألف ثم هبط إلى 49,2 في الألف عام 944، قدرت الزيادة الطبيعية للفلسطينيين 2,7 بالمائة ارتفعت إلى 3,5 بالمائة سنة 1948، فيبدو أن العرب وقد شعورا بالخطر الداهم من تدفق الهجرات ركنوا لاشعوريا إلى الإنجاب الزائد ولا تزال هذه الظاهرة تميز اللاجئين العرب حتى الآن(12)

وهذا الجدول يبين معدل الولادات والوفيات والازدياد الطبيعي للسكان العرب في فلسطين في السنوات المختارة خلال فترة الانتداب بحسب الانتماء الديني:

	المسلمون			المسيحيون		
	معدل الولادات	معدل الوفيات	الازدياد الطبيعي	معدل الولادات	معدل الوفيات	الازدياد الطبيعي
معدل السنوات 1922-1925	50,20	26,93	23,27	36,29	16,14	20,15
معدل السنوات 1931-1935	50,34	25,36	24,98	35,85	15,00	20,85
معدل سنة 1945	54,23	16,35	37,88	32,65	9,86	22,79

يعود السبب الرئيسي لهذا النمو السكاني إلى الازدياد الطبيعي المرتفع وهو منحنى ديمغرافي نتج عن التراجع في معدل الوفيات، فقد أدى تحسن الظروف الطبية ما بين العامين 1922 و1945 إلى تقليص معدل الوفيات، ولاسيما وفيات الأطفال، بحوالي 60 بالمائة، وكانت معدلات وفيات العرب ولا سيما المسلمون مرتفعة، فقد ارتفعت من 18,8 في الألف عام 1922 إلى 26,9 في الألف عام 1928، ثم هبطت إلى 13,9 في الألف عام 939. وارتفعت مرة أخرى إلى 18,5 عام 1940 ثم أصبحت 16,3 عام 1941 وكان المتوسط في العشرين سنة الأولى للانتداب البريطاني 21,55. وهذا معدل مرتفع للوفيات بمقارنته بالأقطار الأخرى. هناك تفاوت بين الطوائف المختلفة في فلسطين من حيث الزيادة الطبيعية خلال الانتداب، كان المسلمون يشكلون 89 بالمائة من السكان العرب في فلسطين، مقابل 11 بالمائة للمسيحيين. نتجت 96 بالمائة من النمو الديمغرافي للمسلمين عن ازدياد طبيعي مقابل 4 بالمائة فقط عن الهجرة، في حين بلغت هاتان النسبتان لدى 72 بالمائة و28 بالمائة على التوالي(13). أما مواليد اليهود المرتفعة فهي لا ترجع إلى زيادة الخصوبة اليهودية، بل ترجع إلى التركيب العمري للسكان اليهود، حيث يكون الشباب صغار السن نسبة كبيرة من المهاجرين اليهود. وقد هبط معدل مواليد اليهود من 38,16 في الألف عام 1924 إلى 20,6 في الألف عام 1941 نتيجة لتزايد عدد غير المتزوجين والأطفال الذين لم يبلغوا مرحلة الإنجاب.

إن وفيات اليهود منخفضة بصفة عامة، فقد كانت 9,3 في الألف في الفترة بين 1931- 1935 ثم أصبحت 8,2 في الألف في الفترة بين 1930-1938 و7,9 في الفترة 1939-1941. ولا يمكن أن يعلل هذا بارتفاع مستوى المعيشة لدى اليهود فقط. بل يجب

أن تأخذ في الاعتبار التركيب العمري للسكان اليهود، وهو تركيب ترتفع فيه نسب صغار السن، حيث يهبط معدل الوفيات إلى أدناه في أي مجموعة سكانية في العالم. وكانت معدلات وفيات أطفال العرب المسلمين عالية جدا تصل إلى 125 في الألف، بينما هي منخفضة لدى اليهود. وقد انخفضت هذه المعدلات. وكان هذا الانخفاض أكثر لدى اليهود من 128,9 إلى 55,6 في الألف ولدى المسلمين من 162,3 إلى 131,7 في الألف.

النتيجة لهذا كله أن فلسطين شهدت أعلى معدل زيادة طبيعية في العالم، وكان كل من العنصرين في سباق مع الآخر، العرب بمواليدهم المرتفعة واليهود بهجراتهم التي تحمل نسبة كبيرة من الشباب في سن الإنجاب، أي بمواليد مرتفعة بقدر ما يطيقون.

ورغم ذلك، لو ترك الأمر لطبيعة كل من العنصرين، وتوقفت الهجرة حتى بعد أن حلت مئات الآلاف من اليهود، لفاق العرب اليهود عددا في مدى جيل واحد.وهذه حقيقة كان يرصدها علماء السكان والاجتماع اليهود، وكانت وراء طرد مئات الألوف من العرب من الجزء الذي اغتصبته إسرائيل من أرض فلسطين. لقد كان معدل الزيادة الطبيعية في فلسطين بين عامي 1922–1938 4,8 بالمائة في السنة.

وقد توصلت إحدى الدراسات إلى حساب معدل الزيادة الطبيعية لكل من العرب واليهود إذا توقفت الهجرة، وبدأ تركيب السكان يتخذ صفته الطبيعية، فإن العرب يزيدون بمعدل 28,8 في الألف سنويا بينما لا تزيد الزيادة الطبيعية اليهودية عن 10,3 في الألف. بينما كانت الزيادة الطبيعية الفعلية في أواخر الأربعينات 27,4 في الألف للمسلمين و18 في الألف للمسيحيين و22,4 في الألف لليهود[14] .

منذ أواخر الستينات، شهد السكان العرب تراجعا مستقرا وإن كان تدريجيا في معدلات الحصوبة ترافق مع عملية تنظيم الأسرة. بالتالي تراجع معدل الخصوبة لدى السكان العرب بأكثر من 50 بالمائة مابين 1960 و2002. وتميز المجتمع العربي، كما كانت حاله خلال فترة الانتداب البريطاني، بانعدام تجانسه من حيث الخصائص الديمغرافية، وسجل المسلمون أعلى مستويات الخصوبة، يليهم في ذلك الدروز والمسيحيون، ومن الجدير بالذكر أن معدل الخصوبة لدى المسيحيين أدنى من المعدل الذي سجله السكان اليهود، في خلال الفترة (1955 – 1959) كانت معدلات الخصوبة في إسرائيل بحسب الانتماء الديني كالآتي: المسلمون 8,17، المسيحيون 4,56، الدروز 21،، اليهود 3,56[15]. ويمكن أن نقرر في ضوء تحليل اتجاهات نمو السكان أن عرب فلسطين يعيشون في صميم المرحلة الانتقالية التي تتسم خلالها معدلات المواليد بالارتفاع. أما معدلات الوفيات فتأخذ في الانخفاض التدريجي [16].

الهجرة اليهودية: من بداية موجات الهجرة المنظمة في عام 1882 وحتى قيام إسرائيل في عام 1948، تضاعفت الأقلية اليهودية في فلسطين 22 ضعفا بوفود أكثر من نصف مليون مهاجر يهودي. يظهر أن الهجرة إلى فلسطين بلغت 4,5 بالمائة من الهجرة اليهودية العالمية (1840 – 1880) ثم انخفضت النسبة إلى1,9 بالمائة فقط في الفترة(1901 –1904) رغم ظهور الجمعيات والمساندة المالية التي شجعت الهجرة[17].

يقدر عدد اليهود الذين كانوا في فلسطين عام 1882 بنحو 24000 يهودي، معظمهم من رجال الدين ومن الأقلية اليهودية المستعربة التي لم تغادر نابلس والمعروفة باسم السامرية. ويورد الكتاب اليهود تقديرات لأعداد اليهود في فترات التاريخ الميلادي المختلفة بعد تحطيم الهيكل الثالث، وهذه الأعداد تتراوح حول الألف والألفين. كان عدد كبير من الخامات والمسنين الذين هاجروا إلى فلسطين يعيشون على الإحسان.

وقد بدأت أفواج الهجرة اليهودية تدخل فلسطين نتيجة للحركة الصهيونية، وكانت أول موجة بين عامي 1882–1903 وتراوحت أعداد ها بين 20 ألف و30 ألف مهاجر وشملت أتباع جمعية بيلو وغلب عليها الانتماء إلى الطبقات الوسطى، وكان معظم المهاجرين من رومانيا وجنوب روسيا وقد أنشئوا مستعمرات زراعية منها هي بتاح تكفاه، به لشون، ريشيون لزيون، نسى زيونا، زخرون يعقوب، جدايرة، وقد اعتمدت على المعونة المالية التي قدمها ادموند دي روتشلد. بلغ عدد المستعمرات حينها 22 مستعمرة تبلغ مساحتها 220 ألف دونم. أما الموجة الثانية فقد استغرقت الفترة 1904–1914 وتراوحت أعداد موجة الهجرة إلى فلسطين بين 35 و40 ألف يهودي، وتركزت من روسيا وبولندة ونشأت خلالها أحزاب بو عالى زيون، هابو عيل هاتزائير والعديد من التنظيمات المهنية والعمالية، تضمنت بعض الزعماء البارزين مثل دافيد بن غوريون وإسحاق بن زفي، ليفي أشكول وكانت هذه الهجرة لا تكون سوى 3 بالمائة فقط من مجموع المهاجرين اليهود الذين غادروا شرق أوروبا فيما بين عامي 1882–1914 بل إن بعض هؤلاء غادر البلاد بسرعة[18] .

أخذ اليهود الأوروبيون في هذه المستوطنات الزراعية ينتجون في البداية حاصلات تباع نقدا مثل الكروم، ثم دخلت في إنتاج الحمضيات والأعناب كما أسست تعاونيات للتسويق وبحلول عام 1913 بلغ ما ينتجه اليهود من البرتقال 15 بالمائة من مجموع الصادرات الفلسطينية. وفي ديجانيا أولى المزارع الجماعية كيبوتز 1909 أنشئت تعاونية زراعية تقوم على فلاحة مختلفة ولا تستخدم اليد العاملة العربية[19] .

ثم توقفت الهجرة اليهودية خلال الحرب العالمية الأولى وغادر فلسطين آلاف من اليهود وعرفت أعداد اليهود انخفاضا بمقدار الثلث تقريبا، وما أن انتهت هذه الحرب حتى نشطت الهجرة اليهودية نشاطا كبيرا، بسبب وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني الذي شرع في تنفيذ وعد بلفور. حتى لقد وصل عدد المهاجرين اليهود في نهاية فترة الانتداب إلى نصف مليون مهاجر. وكانت أكبر هذه الهجرات هي التي شهدتها أعوام 20، 24 – 26، 33 – 36، 39 – 46، 48[20].

بين عامي 1919 – 1923 تمت الموجة الثالثة وبلغ عدد الوافدين فيها 35 ألف مهاجر أغلبهم من الروس، وكان عدد المهاجرين حوالي 8300 مهاجر سنويا، معظمهم من الحرفيين والعمال الذين اتجهوا نحو المدن، وقليل من هؤلاء من اتجه نحو الزراعة المختلطة. وقد تم في هذه الفترات إنشاء تل أبيب التي بدأت ضاحية صغيرة بجوار يافا 1909[21]. وأقام المندوب السامي هربرت صامويل عام 1920 جهازا إداريا، عهد فيه بالمراكز العليا إلى اليهود الإنجليز ووضعت الحكومة 175 ألف دونم من أملاك الدولة تحت تصرف المنظمات الصهيونية. ومنح المندوب السامي حق تنظيم الهجرة، فأصدر القواعد التي تسمح للفئات التالية بالهجرة إلى فلسطين:(أ) الأشخاص الذين تضمن المنظمة الصهيونية إعالتهم لمدة عام (ب) الأشخاص الذين تتوفر لديهم الموارد لإعالة أنفسهم (ج) رجال الدين الذين تتوفر وسائل إعاشتهم في فلسطين، وقد فتح هذا القانون أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ثم عدل قانون الهجرة في عام 1921 تعديلا أشار فيه إلى فئات مختلفة، لم يرد عليها أي قيد يحدد أعداد المهاجرين أدخلت هذه الموجة مستوطنات الموشاف عوفديم وأنشأت الهستدروت عام 1920 ومؤسساته الفرعية[22].

أما الموجة الرابعة ما بين 1924– 1931، فقد أضافت 85 ألفا من المهاجرين، ووصلت الهجرة ذروتها عام 1925 عندما دخل فلسطين 34400 مهاجر[23]، حيث قامت حكومة الانتداب بتعديل قانون الهجرة ليحدد بطريقة أدق المهاجرين من الطبقة الوسطى ولم يضع قيدا ماليا على هجرة رجال الدين والطلبة واليتامى ولكنه اشترط تقديم ضمان بإعالتهم، شملت هذه الموجة أعدادا مهمة من بلدان غير أوروبية، البلدان الأمريكية والشرق الأوسط وسكن العديد منهم المدن تل أبيب ويافا والقدس[24]. وقد أدى تدفق هذا العدد الكبير من الحرفيين والتجار الصغار إلى حدوث أزمة اقتصادية في فلسطين التي لم تستطع إغاثة مثل هذا العدد الكبير، ولاسيما أن معظمهم

يحترف حرفا طفيلية في الاقتصاد القومي. ومن ثم هبط عدد المهاجرين بين عامي 1927 – 1931 إلى عدد يتراوح بين 2000 – 5000 مهاجر سنويا .

و جاءت الموجة الخامسة 1932–1938 هاجر خلالها إلى فلسطين 217 ألف يهودي، أصدرت السلطات قانون الهجرة عام 1933 وقد سمح للوكالة اليهودية بالإشراف على اختيار المهاجرين. يظهر من الفئة (د) التوسع الكبير في فئة المعالين، لم يرد أي تحديد على الحجم الكلي للهجرة اليهودية؛ أما عن البلدان التي وفدت منها هذه الموجة بولندة 91 ألفا، ألمانيا والنمسا 40 ألفا، الإتحاد السوفييتي 11 ألفا، رومانيا 11 ألفا[25] .وفي سنة 1938 بلغ عدد سكان اليهود 370 ألفا أي28,6 بالمائة من مجموع السكان[26]. وقد كان وصول أدولف هتلر إلى حكم ألمانيا دافعا إلى هجرة عدد كبير من يهود وسط أوروبا، وقد وصل فلسطين 63 بالمائة من هذه الهجرة اليهودية. لقد أصدر النظام النازي التصريح رقم (1135/19052 ب) بتاريخ09 جويلية 1935 الذي أجاز للمنظمات الصهيونية جمع التبرعات من أجل تشجيع الهجرة والاستقرار في فلسطين وشراء الأراضي وهناك دلائل تشير إلى أن الغستابو ساعدت على تهريب المهاجرين اليهود إلى فلسطين حيث استقبلت 153112 مهاجر أي 50,95 بالمائة خلال الفترة 1930–1935. صرح مندوب الصهيونية لدى النازيين في برلين بلومنفيلد:" لم تكن الصهيونية لتحكم بسلاح أمضى من النازية، إنها هبة السماء وسلاح فعال لتأسيس دولتنا العبرية [27].

غيرأن الثورة الكبرى عام 1936 أوقفت تيار هذه الهجرة، لقد تراجعت أرقام الهجرة خلال سنوات الثورة الثلاث من61854 مهاجر سنة 1935 إلى 29727 مهاجر سنة 1936 ثم إلى 11405 مهاجرا سنة 1939، فيما انخفضت الهجرة غير الشرعية من 62000 مهاجر سنة 1935 إلى 15000 خلال سنوات الثورة الثلاث. فيما بلغ رقم الهجرة المضادة 10000 مهاجر تركوا فلسطين. ولقد كانت الثورة أشد تأثيرا في مجال حيازة الصهاينة للأرض إذ بلغ مجموع ما اشترى خلال سنوات الثورة 112766 دون يتضح أنهم في سنة 1935 حازوا 72905 دونمات[28].

السنة	الهجرة الداخلية			الهجرة النازحة		
	يهود	غير يهود	الجملة	يهود	غير يهود	الجملة
1920	14784	138	14922	–	–	–
1922	7844	284	8128	1451	1348	2799
1923	4421	570	7991	3466	1481	4947
1933	30327	1650	31977	–	–	–
1936	29727	1944	31671	773	405	1178
1339	16405	2028	18433	1095	977	1996
1941	3630	555	4185	426	790	1216

وقد استمرت موجة الهجرة السادسة من1939 حتى 1948 وصدر الكتاب الأبيض سنة 1939 وأهم ما جاء فيه : "وفي خصوص الهجرة تقدم حكومة جلالته المقترحات التالية : أولا: تكون الهجرة اليهودية خلال السنوات الخمس التالية بمقدار من شأنه أن يزيد عدد السكان اليهود في فلسطين إلى ما يقرب من الثلث مجموع سكان البلاد أي 75000 مهاجر يهودي. ثانيا: تدى انقضاء السنوات الخمس المشار اليها لا يسمح بهجرة يهودية أخرى إلا إذا كان عرب فلسطين على استعداد للقبول بها ." تبدأ المدة في مارس 1939 وتنتهي في الشهر نفسه من عام 1944 على أن يخضع أي عدد من المهاجرين اليهود لموافقة العرب، غير أنه لم يطبق وأغمضت الحكومة العين عن الهجرة غير المشروعة[29]فبعض التصريحات تبين عدم وقوف بريطانيا في وجه هذه الهجرة من ذلك ما صرح به لويد جورج وزير المستعمرات 1940 "1940 من مجموع 23 سفينة مختلفة تحمل لاجئين يهود غير شرعيين عددهم 13 ألفا، قرر مجلس الوزراء بقاءهم في البلاد كنوع من الرحمة ""وحسب تصريح أوليفر ستانلي وزير المستعمرات في 03 فيفري 1943 "وافقت الحكومة البريطانية على السماح لأربعة آلاف طفل يهودي من بلغاريا دخول فلسطين...كما أن هناك 29 ألف شهادة هجرة من أجل هذا الغرض يمكن للمنظمة الصهيونية الحصول عليها [30]" وقد لعبت مستوطنات الكيبوتز دور مهم قي إخفاء المتسللين.وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية؛ أغلق باب الهجرة تقريبا فلم يدخل فلسطين عام 1940 سوى 11000 نسمة، ولم يزد عدد المهاجرين عام 1945 – 1946 على 15000 ثم ارتفع عددهم إلى 22000 عام 1947. وقد أعلنت بريطانيا فتح باب الهجرة في 29 جانفي 1946 حيث اصدر المندوب السامي في فلسطين بلاغا قال فيه: "...لذلك قررت الحكومة البريطانية كانت الآن لأسباب قوية وجوب السماح باستمرار الهجرة بصفة مؤقتة بالمعدل المقترح وهو ألف وخمسمائة مهاجر شهريا، ولم تعبأ الحكومة الانجليزية برفض عرب فلسطين الذين نص الكتاب الأبيض على شرط موافقتهم. ولتنويه أن مذكرات الحكومات العربية والجامعة فيها اعتراض ورفض لأي هجرة جديدة[31]. لقد أصبحت مشكلة اللاجئين اليهود الأوروبيون مرتبطة بتأسيس دولة يهودية في فلسطين.

وأثرت حرب عام 1948 في عدد المهاجرين، إذ هبط إلى 24000 عام 1952 وإلى 11000 عام 1953، وعادت أرقام الهجرة إلى الارتفاع الكبير، حيث فتحت إسرائيل أبوابها لكل يهود العالم، تطبيقا لقانون العودة، ووصل عدد المهاجرين إلى 56000 وإلى 71000 عام 1957. الهجرة والاستيطان هما حجرا الزاوية والتجسيد العملي للمشروع الصهيوني في فلسطين المحتلة،

وهي الوسيلة الوحيدة لإيجاد رابطة من نوع ما بين أمن إسرائيل ويهود العام يقول ابن غوريون :" لن يكون هناك أمن لإسرائيل بدون هجرة " ومنذ الأيام الأولى للمشروع الصهيوني، سعت القيادات الصهيونية وإسرائيل إلى جعل مسألة الأمن الجماعي للمستوطنين يحتل مكانا بارزا في هوية المجتمع[32].

وقد هاجرت إلى إسرائيل مجتمعات يهودية كاملة بعد إعلان قيامها. ومن أبرز أمثلة هذه المجتمعات يهود العراق واليمن وليبيا وبلغاريا وبولندة، أو جزء كبير من مجتمعات يهودية أخرى، مثل يهود تركيا والمغرب والهند ورومانيا والمجر.

وكان تدفق الهجرات اليهودية من أفريقية وآسيا بعد قيام إسرائيل سببا في تغيير تركيب السكان العنصري، فارتفعت نسبة اليهود المولودين في أفريقية وآسيا من 9,8 بالمائة عام 1948 إلى 22,4 في العام التالي و28,7 بالمائة عام 1964. وتناقضت نسبة اليهود الأوروبيين والأمريكيين من أكثر من نصف السكان إلى أقل من ثلثهم، رغم تضاعف عددهم المطلق. وبين احصاء اجري عام 1960 أن عدد اليهود 1811189 شخص. وأن 37 بالمائة منهم ولودوا في إسرائيل، وأن 35,1 بالمائة منهم ولودوا في أوروبا وأمريكا و21,8 ولودوا في أفريقية وأسيا.

و يبين تركيب السكان من حيث العمر والجنس ومعدلات المواليد والزيادة الطبيعية حيوية السكان الذين هم من أصل أفريقي وآسيوي، وهذا من شأنه أن يغير من تركيب السكان العنصري والثقافي إذا لم يعترض ذلك هجرة كبيرة تأتي من أمريكا أو الاتحاد السوفيتي. وبعد خلق هذا الوضع وجود ثقافتين متباينتين، إحداهما يحملها يهود أفريقية وآسيا والأخرى يحملها يهود أوروبا وأمريكا(33)

البنية العمرية لسكان فلسطين في العامين 1926 و1944 (النسبة المئوية)[34]:

الفئة العمرية	مسلمون: ذكور	مسلمون: إناث	مسيحيون: ذكور	مسيحيون: إناث	يهود: ذكور	يهود: إناث
1926						
4-0	20,69	19,05	14,7	13,4	14,2	13,7
14-5	18,99	16,13	23,3	20,0	17,7	17,9
24-15	20,34	21,84	18,2	18,4	26,4	27,1
49-25	28,78	30,85	31,3	32,1	30,0	28,5
64-50	7,01	7,38	8,2	9,8	7,9	8,3
أكبر من 65	4,19	4,75	4,3	6,3	3,8	4,5
1944						
4-0	19,08	18,43	12,8	12,6	11,4	11,1
14-5	25,22	24,45	21,4	21,0	17,4	16,8
24-15	19,89	18.71	18.2	17.0	17.0	15.6
49-25	24.11	25.26	36.3	33.4	41.1	42.6
64-50	7.81	8.88	7.7	10.6	8.6	8.9
أكبر من 65	3.89	4.27	3.6	5.4	4.5	5.0

ما نلاحظه في سنة 1926 بالنسبة لفئة الأطفال(0 – 4 سنة) أن فئة الذكور أكثر من فئة الإناث، وأنها تجاوزت 20 بالمائة بالنسبة للمسلمين و14 بالمائة بالنسبة للمسيحيين واليهود بينما فئة الإناث فاقت 19 بالمائة بالنسبة للمسلمين و13 بالمائة بالنسبة للمسيحيين واليهود، أما فئة الأطفال (5 – 14) فالذكور قد قاربت 19 بالمائة بالنسبة للمسلمين وتجاوزت 23 بالمائة بالنسبة للمسيحيين و17 بالمائة بالنسبة لليهود بينما فئة الإناث فاقت 16 بالمائة بالنسبة للمسلمين و20 بالمائة بالنسبة للمسيحيين وقاربت 18 بالمائة اليهود، أما فئة الشباب (15 – 24) فقد تجاوزت فئة الذكور 20 بالمائة بالنسبة للمسلمين و18 بالمائة بالنسبة للمسيحيين 26 بالنسبة لليهود بينما فئة الإناث فاقت 21 بالمائة بالنسبة للمسلمين و18 بالمائة بالنسبة للمسيحيين وفاقت 27 بالمائة اليهود، أما بالنسبة لفئة الكهول (25 –49) ففئة الذكور قاربت 29 بالمائة بالنسبة للمسلمين وتجاوزت31 بالمائة بالنسبة للمسيحيين وبلغت 30 بالمائة بالنسبة لليهود، بينما فئة الإناث فقد فاقت 30 بالمائة بالنسبة للمسلمين و32 بالمائة بالنسبة للمسيحيين و28 بالمائة لليهود، أما بالنسبة لفئة الكهول (50 – 64) ففئة الذكور قد زادت عن 7 بالمائة بالنسبة للمسلمين وتجاوزت 8 بالمائة بالنسبة للمسيحيين وقاربت 8 بالمائة بالنسبة لليهود، بينما فئة الإناث فقد فاقت 7 بالمائة بالنسبة للمسلمين و9 بالمائة بالنسبة للمسيحيين و8 بالمائة لليهود، أما بالنسبة لفئة الشيوخ(أكبر من 65) فالذكور زادت عن4 بالمائة بالنسبة للمسلمين والمسيحيين وقاربت4 بالمائة بالنسبة لليهود، بينما فئة الإناث فقد فاقت 4 بالمائة بالنسبة للمسلمين و6 بالمائة بالنسبة للمسيحيين و4 بالمائة لليهود، إن ما يميز هرم السكان أن قاعدته واسعة وتمثلها فئة الأطفال والشباب أما قمته ضيقة تمثلها فئة الشيوخ ؛ فالمجتمع تميز بالفتوة بسبب الزيادة الطبيعية الكبيرة والهجرة المكثفة.

أما المتغيرات التي أصابت التركيبة السكانية في فلسطين فقد اتضحت خصائصها في سنة 1944 كالآتي أن فئة الأطفال (0 – 4 سنة) تراجعت ففئة الذكور تجاوزت 19 بالمائة بالنسبة للمسلمين و 12 بالمائة بالنسبة للمسيحيين و11 لليهود بينما فئة الإناث فاقت 18 بالمائة بالنسبة للمسلمين و12 بالمائة بالنسبة للمسيحيين و11 لليهود، أما فئة الأطفال (5 – 14) فقد ارتفع عددها ونسبتها بالنسبة للمسلمين ففئة الذكور زادت عن25 بالمائة، وتجاوزت 21 بالمائة بالنسبة للمسيحيين و17 بالمائة بالنسبة لليهود بينما فئة الإناث فاقت 24 بالمائة بالنسبة للمسلمين و21 بالمائة بالنسبة للمسيحيين وقاربت 17 بالمائة لدى اليهود، أما فئة الشباب (15 – 24) فقد حافظت على معدلها ونسبتها بالنسبة للعرب المسلمين والمسيحيين بينما تراجعت بالنسبة لليهود إذ قاربت

فئة الذكور 20 بالمائة بالنسبة للمسلمين وتعدت 18 بالمائة بالنسبة للمسيحيين وبلغت 17 بالنسبة لليهود بينما فئة الإناث فاقت 18 بالمائة بالنسبة للمسلمين وقدرت 17 بالمائة بالنسبة للمسيحيين وفاقت 15 بالمائة اليهود، أما بالنسبة لفئة الكهول (25 –49) فقد تراجعت بالنسبة للمسلمين وزادت بالنسبة للمسيحيين واليهود ففئة الذكور فقد تجاوزت 24 بالمائة بالنسبة للمسلمين و32 بالمائة بالنسبة للمسيحيين و41 بالمائة بالنسبة لليهود، بينما فئة الإناث فقد فاقت 25 بالمائة بالنسبة للمسلمين و33 بالمائة بالنسبة للمسيحيين و42 بالمائة لليهود، أما بالنسبة لفئة الكهول (50 – 64) بقيت نسبتها ضعيفة ففئة الذكور زادت عن 7 بالمائة بالنسبة للمسلمين وتجاوزت 7 بالمائة بالنسبة للمسيحيين و8 بالمائة بالنسبة لليهود، بينما فئة الإناث فقد فاقت 8 بالمائة بالنسبة للمسلمين و 10 بالمائة بالنسبة للمسيحيين و8 بالمائة لليهود، أما بالنسبة لفئة الشيوخ(أكبر من 65) فقد بقيت ضعيفة جدا فالذكور قاربت 4 بالمائة بالنسبة للمسلمين والمسيحيينوتعدت4 بالمائة بالنسبة لليهود، بينما فئة الإناث فقد فاقت 4 بالمائة بالنسبة للمسلمين و3 بالمائة بالنسبة للمسيحيين ووصلت إلى 5 بالمائة لليهود.

إن تأثير الهجرة اليهودية المنتقاة والمتزايدة أصبح واضحا على تركيبة السكان في فلسطين. كما سبق وأشرنا إليه، كان الازدياد الطبيعي المرتفع لدى العرب نتيجة مباشرة لانخفاض كبير في معدل الوفيات، ولاسيما وفيات الأطفال. لذا، تمتع السكان العرب ببنية عمرية شابة، في عام 1955، كان متوسط السن 17,4 عام لدى المسلمين و17,2 عام لدى الدروز و20,4 عام لدى المسيحيين و20,8 لدى اليهود[35].

نزوح السكان العرب:تمخضت الحرب العربية الإسرائيلية 1948 عن نزوح العرب بلغ عدد اللاجئين حوالي 750 ألف شخص ولم يبق سوى 156000 عربي في هذا الجزء من فلسطين الذي أصبح يشكل دولة إسرائيل (أي ما يعادل 13 بالمائة فقط من السكان في إسرائيل). انقطعت هذه الفئة عن بقية الشعب الفلسطيني حيث تحولت إلى لاجئين في دول عربية أخرى. وشكلت المجموعة التي بقيت في وطنها شريحة ضعيفة، حيث نزحت النخبة المدنية المالكة للأرض والنخبة المهنية والدينية، ومن لم يغادر فلسطين قبل اندلاع الحرب، غادرها خلال الحرب، في حين طرد عدد كبير منهم. أما الفلسطينيون الذين بقوا في إسرائيل فقد كان معظمهم من الفلاحين، وعاش 80 بالمائة منهم في المناطق الريفية في الجليل والمثلث والنقب. وفي حين سكن المدن حوالي 200000 فلسطيني سنة 1947، بقي منهم بعد النكبة 6 بالمائة فقط. إضافة ذلك، أصبح حوالي 20 بالمائة من السكان العرب في إسرائيل لاجئين في وطنهم، إذ اضطروا إلى الانتقال إلى مناطق جديدة عقب تدمير قراهم الأصلية خلال الحرب أو بعدها مباشرة[36].

لقد استهدف الاستيطان تكريس الدولة اليهودية وتثبيت أقدامها، في إطار الحدود التي تمخضت عنها اتفاقات الهدنة وكان الهدف شغل بيوت العرب في المدن والقرى العربية المهجورة مثل حيفا واللد والرملة وعسقلان وبئر السبع وطبريا وبيسان والقدس فضلا عن إقامة نقاط استيطانية جديدة بلغت 39 نقطة سنة 1948، وفي سنة 1949 قام حوالي 124 ألف مهاجر يهودي باستيطان القرى العربية الخالية[37].

و قد قدر عدد من كان يعيش في فلسطين قبل إعلان دولة إسرائيل بنحو 1370000 نسمة، منهم 60000 يهوديا فقط. أي أن عدد العرب الذين غادروا إسرائيل أكثر من نصف مليون نسمة. وليس من السهل معرفة عدد النازحين العرب فلسطين المحتلة بعد انتهاء الانتداب البريطاني. ولكننا نستطيع أن نقدرهم بحوالي 685000 عربيا، حل محلهم 690000 يهوديا حتى آخر عام 1951 .

و لم يبق في إسرائيل سوى 286400 نسمة عام 1964 ممن يطلق عليهم الأقليات الدينية، يكون المسلمون منهم 20300 يسكنون قرى الجليل وعلى حافة وادي مرج بن عامر وفوق تلال آرون، وعلى تلال صارونة الشرقية. ويزيد المسلمون قليلا عن المسيحيين في مدينة الناصرة. كما يوجون في مدن حيفا وعكا ويافا والرملة واللد، هذا إلى جانب بدو النجب ويقدر عددهم بنحو 25000 نسمة.

أما المسيحيون العرب فتعدادهم 55500 نسمة، ويسكن 60 بالمائة من المسيحيين المدن العربية السابقة والباقي في الريف. وغادر معظم المسيحيين العرب بيوتهم في يافا وحيفا والرملة ولجأوا إلى بيت لحم ورام الله والقدس القديمة. ولم يبق في إسرائيل سوى نصف عدد المسيحيين العرب الذين كانوا بها من قبل، بينما لم يبق من المسلمين سوى 20 بالمائة. ويسكن إسرائيل 28000 درزيا، معظمهم فلاحون يعيشون في الجليل وقربتي عصفية ودالية الكرمل[38] .

اتخذت الأمم المتحدة قرارا في 08 ديسمبر 1949 بإنشاء وكالة الغوث كي ترعى شؤون اللاجئين وتدعى الأنروا، واقتصر دورها على تقديم المعونات العينية من ملابس ومعونات غذائية، وباشرت وكالة الغوث أعمالها في مايو 1950، وكانت الدول التي دعمت إسرائيل هي التي ساهمت بأكبر قسط من التبرعات لوكالة الإغاثة لإنهاء المسألة الفلسطينية لصالح إسرائيل(39). UNRWA

سكان إسرائيل: لقد نما سكان إسرائيل نموا كبيرا، وهذا بسبب تدفق الهجرة اليهودية إليها، وهي حالة شاذة بين المجموعات السكانية في العالم، ويظهر الشذوذ في السكان اليهود في تركيب السكان من حيث العمر والجنس وأثر ذلك في المواليد والوفيات، وفي معدلات الخصوبة والزيادة الطبيعية، ويقسم علماء السكان الذين يدرسون سكان إسرائيل يهودها إلى :

- اليهود الذين ولدوا في فلسطين قبل قيام إسرائيل أو بعدها الصابرا.
- اليهود الذين هاجروا من مجتمعات أوروبية أو أمريكية.
- اليهود الذين هاجروا من مجتمعات أفريقية أو آسيوية.

إذا حاولنا أن ندرس معدلات الخصوبة، فإننا نجد أن الصابرا تتقارب معدلات خصوبتهم مع ما هو سائد في المجتمعات التي جاءوا منها، بينما ترتفع معدلات الخصوبة عن ذلك ارتفاعا كبيرا بين اليهود القادمين من مجتمعات أفريقية أو أسيوية وتكاد تتقارب مع معدلات الخصوبة لدى العرب

يتضح أن معدلات المواليد المسلمين تقترب من معدلات مواليد المسيحيين، وتزيد كثيرا عن معدلات مواليد اليهود، بل لقد سجلت فلسطين أعلى معدل مواليد في العالم. ونلاحظ هنا أن معدلات مواليد اليهود كانت تعتبر مرتفعة، بسبب تركيب هيكل السكان العمري والجنسي، فقد كانت المؤسسات اليهودية تستجلب الشبان اليهود. كانت تلك المعدلات 35,76 بالمائة ما بين عامي 1923– 1925 و30 بالمائة مابين عامي 1931 – 1935، ثم هبطت إلى 25,74 بالمائة بين عامي 1936 – 1940، وذلك بسبب هبوط الهجرة اليهودية. وعاد إلى الارتفاع مرة أخرى إلى 30,05 بالمائة سنة 1947 ثم إلى 32,96 بالمائة وذلك بسبب فتح أبواب الهجرة أمام اليهود الشرقيين. أما بيت السكان العرب فقد ظلت النسب مرتفعة، إذ كانت 43,19 بالمائة عام 1950 و46,65 بالمائة سنة 1957.

أما معدلات الوفيات فقد انخفضت لدى اليهود حتى وصلت إلى 6,17 سنة 1947 وهو أدنى معدل يمكن أن تصل إليه، ويرجع السبب في هذا إلى أن نسبة كبيرة من اليهود في سن الشباب حيث تهبط معدلات الوفيات إلى أدنى حد لها. ولكن ينتظر أن ترتفع معدلات الوفيات عندما يصل هؤلاء الشباب إلى مرحلة الشيخوخة. وكانت الزيادة الطبيعية عند اليهود عام 1950 تصل إلى 26,48 بالألف، بينما كانت بين العرب 33,71 بالألف(40).

التوزيع الجغرافي للسكان في فلسطين: حدث تغير ملحوظ في توزيع السكان وكثافتهم في فلسطين خلال نصف القرن العشرين؛ فقبل عام 1920 كانت الهضبة الوسطى هي مركز الثقل السكاني، وكانت كثافتها أعلى بقليل من كثافة السهل الساحلي .أما وادي الأردن فكان قليل السكان فيما عدا منطقة بحيرة طبرية، وكاد النجب يخل من السكان.

شهدت عملية التمدن اختلافا كبيرا في طريقة تأثيرها على المسلمين والمسيحيين، ففي حين ارتفع عدد السكان في المدن من 16,4 بالمائة في العام 1860 إلى 30,5 بالمائة في العام 1946 ؛ كانت عملية التمدن أسرع كثيرا لدى

المسيحيين مقارنة مع المسلمين. ويعود ذلك إلى النسبة العالية للسكان المسيحيين في المدن في الأصل، حيث عاش 80 بالمائة من العرب المسيحيين في المدن قرابة نهاية الانتداب. وبخلاف ذلك، شهد السكان اليهود عملية معاكسة، ففي حين كان جميع اليهود يعيشون في مراكز مدنية في أواخر القرن التاسع عشر، عاش حوالي 26 بالمائة منهم في مستوطنات قروية بحلول العام 1946.

سكان المدن في فلسطين (1860–1946) بحسب الانتماء الديني (بالمائة)[41]:

السنة	المسلمون	المسيحيون	اليهود
1860	16,4	36,6	99,1
1922	23,2	63,0	81,7
1946	30,5	80,0	73,6

ويبين الجدول الآتي مقدار كثافة السكان في مراكز إسرائيل عام 1951

وقد توجهت الهجرات اليهودية الأولى إلى مناطق القدس ويافا وحيفا، ثم إلى السهل الساحلي وسهل، مرج بن عامر. وارتفعت كثافة السكان في الحولة وطبرية وبيسان وسهل صارونة. وتحولت سهول صارونة ومرج بن عامر إلى مراكز للمستعمرات اليهودية. وظل مركز غزة والنجب عربيا خالصا، وبعد عام 1948 تدنت الكثافة السكانية في المناطق الغربية، بسبب نزوح أهلها منها فرارا من القتل وإجرام الإرهاب الصهيوني، وتوجه اللاجئون العرب إلى معسكرات سماويا، وغزة والأردن الأسفل وجبل الجليل وإلى البلدان العربية المجاورة. وأدى تدفق الهجرات اليهودية إلى زيادة كبيرة في كثافة السكان في بعض مناطق فلسطين، فمثلا مدينة تل أبيب تضاعفت كثافتها 16 ضعفا مابين 1922 – 967. وتبلغ كثافة السكان في إسرائيل 43,1 ن/ كلم[2] عام 1948، وقد يبدو لأول وهلة أن هذه الكثافة ليست مرتفعة، ولكن علينا أن نتذكر أن أكثر من نصف مساحة إسرائيل تقع في صحراء النجب، وأن معظم السكان يقطنون السهل الساحلي الضيق وفي السهول الشمالية[42].

وظاهرة تركز السكان اليهود في المدن هي ظاهرة ملازمة لليهود تاريخيا؛ بحكم دورهم الاجتماعي والاقتصادي في المدن كتجار وصيارفة ومرابين ووسطاء، فاليهودي نادرا ما يعمل بالزراعة، ولكن اليهودي اضطروا للعمل في الزراعة، فكان الاستيطان اليهودي في أوله استيطانا زراعيا، وفي عهد الانتداب ومنذ 1924 م أخذ الاستيطان ألمديني بالتوسع، وذلك مع تدفق المهاجرين اليهود من بولندة، وكانت تتكون غالبيتهم من حرفيين وتجار جاؤوا مع عائلاتهم، ولكن التوسع في هذا الاستيطان ازداد مع هجرة اليهود الألمان، وتدفقهم على فلسطين بين عامي 1933– 1939، بعد وصول النازية.

ومع استمرار التوسع في الاستيطان البلدي وألمديني اليهودي في فلسطين؛ تحول عدد من القرى والمستوطنات الزراعية، وخاصة في المنطقة الساحلية إلى مدن مثل رحبوت، بتاح تكفا، ريشيون ليتسيون، هرتسيليا، نتانيا، نهاريا، كفارسابا.

وهذا الجدول يوضح توزع السكان حسب نوع الاستيطان إلى غاية سنة 1944:

السنة	عدد السكان في المدن بالآلاف	عدد السكان في المستوطنات الزراعية بالآلاف	مجموع السكان بالآلاف	نسبة سكان المدن للمجموع
1880	23	–	23	100
1914	73	12	85	86
1931	134	41	175	77
1939	337	138	475	71
1944	427	140	567	75

نلاحظ من هذا الجدول أن نسبة سكان المدن بين المستوطنين اليهود في فلسطين كانت باستمرار أكثر من 70 بالمائة، وأن أسطورة الطلائعية الصهيونية واستصلاح الأراضي وغير ذلك من الأساطير التي نسجتها الدعاية الصهيونية كانت للتمويه على حقيقة المشروع الصهيوني وحقيقة توجهاته.

وهذا الجدول يبرز أسماء المدن والبلدات والمستوطنات البلدية القائمة قبل عام 1948:

المدينة أو البلدة	موقعها	تاريخ إنشائها	عدد سكانها بالآلاف عام 1971
القدس	جبال القدس –المنطقة الوسطى الداخلية	–	222,3
تل أبيب	السهل الساحلي بجوار مدينة يافا	1909	375,8
حيفا	الساحل الشمالي	–	219,2
رامات جان	على بعد 2 كلم شرق تل أبيب	1921	119,3
حولون	ضاحية من ضواحي تل أبيب، وإلى الشرق منها ب 4 كلم	1933	93,4
بات يام	ضاحية من ضواحي تل أبيب، وإلى الجنوب منها	1926	90,7
بتاح تكفا	على بعد 12 كلم شرق تل أبيب	1882	87,2
بني يرالد	ضاحية من ضواحي تل أبيب على بعد كلم شمال شرقي يافا	1924	74,2
نتانيا	سهل الشارون الجنوبي ،غرب طولكرم	1929	67,7
ريشون لتسيون	على بعد 12 كلم جنوب شرق تل أبيب	1882	50,4
جفعتايم	ساحل تل أبيب	1922	47,6
هرتسليا	إلى الشمال من تل أبيب	1924	40,1
رحويت	جنوب شرق يافا ب 22 كلم	1890	27,9
الخضيرة	الشارون الشمالي جنوب يافا	1890	31,5
كريات آتا	خليج حيفا، على بعد 14 كلم شرقي مدينة حيفا	1925	26,7
كفار سابا	سهل الشارون الجنوبي، مقابل مدينة قلقيلية	1912	25,5
نهاريا	على الساحل شمال عكا	1934	23
رامات هاشروت	سهل الشارون الجنوبي	1923	18,5
كريات يام	إلى الشمال من حيفا	1946	18,3
عفولة	مرج بن عامر على بعد 14 كلم جنوب الناصرة	1925	16,4
كريات موتسكين	خليج حيفا إلى الشمال من مدينة حيفا	1934	16,2

كريات بياليك	شمال خليج حيفا	1934	15,7
باردييس حناكر كور	شمال شرق الخضيرة	1913	13,8
رعنانا	على بعد 16 كلم شمال شرق يافا	1921	13,6
هود هاشرون	الشارون الجنوبي	1924	13
نيس تسيونا	السهل الساحلي جنوب شرق يافا	1883	12,2
كريات تيفون	جنوب الجليل الأردني	1937	9,85
نيشر	خليج حيفا	1925	9,65
جديرا	على بعد 25كلم جنوب شرق يافا	1884	5,2
جفعات شموئيل	إلى الغرب من بتاح تكفا	1942	4,7
زخروف يعقوب	ساحل الكرمل	1882	4,5
بئير ياكوف	السهل الساحلي قرب اللد	1907	4,1
كاديما	الشارون الجنوبي	1933	3,17
بنيامينا	شمال الخضيرة	1922	2,56
عتليت	ساحل الكرمة	1904	0,4

على الرغم من كل الدعاية الصهيونية عن الطلائعية والاستيطان الزراعي الصهيوني في فلسطين، فإن الأرقام تؤكد أن سكان المستوطنات الزراعية في إسرائيل لا يزيدون في مجموعهم عن 300 ألف نسمة، أو ما يعادل 10 بالمائة من سكان إسرائيل، بينما يتركز نحو 90 بالمائة من السكان في المدن والبلدات والمستوطنات البلدية[43]. أما عن توزيع هذه الزيادة فقد ضاعفت يافا وأريحا عدد سكانها، وما لبثت حيفا أن لحقت بهما. وبلغت زيادة كل من طولكرم وبيسان والقدس والرملة 39 بالمائة. ويبين توزيع السكان تحركا ملحوظا نحو الساحل حيث المستعمرات اليهودية، والقطاعين الشمالي والأوسط أما الخليل ونابلس وعكا وصفد فقد حافظت على مراكزها السكانية السابقة بينما فقدت بيت لحم مركزها. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد زاد سكان الحضر بمقدار 47 بالمائة بين التعدادين الأولين، 85 بالمائة بين عامي 1931– 1940. وقد بينا مناطق تركز اليهود قبل 1948، عندما 70 بالمائة من يهود فلسطين يتركزون في تل أبيب وحيفا والقدس، بل إن القطاع الأوسط من السهل الساحلي كان يضم 78 بالمائة من يهود فلسطين كلها. أما الآن فقد تغير توزيع السكان اليهود في إسرائيل بعد أن سكنوا القرى العربية التي طردوا أهلها واستولوا على أراضيهم. فأصبح السهل الساحلي يضم 70 بالمائة من اليهود فقط، والجليل ووديانه يضم 10,4 بالمائة منهم وبيرالسبع والنجب 10,6 بالمائة، أما القدس وممر اللطون فلا تضم سوى 9,5 بالمائة من يهود إسرائيل.

وكانت معظم الهجرات اليهودية تتجه نحو المدن، إذ زاد نصيبها من 40 بالمائة من سكان 1931 إلى 60 بالمائة من سكان 1940، وكان نمو السكان الريفيين أيضا في معدله مما كان عليه بين التعدادين الأولين. فبينما كانت زيادة الريف بين عامي 1922– 1931 قد بلغت 39 بالمائة، إذ بها تهبط في تسع سنوات التالية إلى 34 بالمائة فقط.

إن موجة الهجرة في الثلاثينات اتجهت كلها للحضر. وكان 78,4 بالمائة من السكان اليهود يعيشون في الحضر، ولا يعيش في الريف سوى 21,6 بالمائة عام 1942. بينما كان معظم العرب سكان ريف، شأنهم في ذلك شأن المجتمعات العربية المجاورة الأخرى. ورغم إنشاء المستعمرات الزراعية اليهودية، فقد استمر ثلاثة أرباع المهاجرين يتجهون إلى المدن، ولم يكن يعيش في الريف سوى 15 بالمائة من السكان في أوائل الأربعينات، ولا تزال النسبة كما هي لم تتغير حتى الآن [44].

الهوامش:

(1) سميح فرسون : فلسطين والفلسطينيون، ط $_1$، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003، ص 79 ينظر
SOPHIE A. UDIN : The Palestine year book and Israeli annual , volume IV , zionist :organization of america and Palestine foundation fund (Keren Hayesod) , lac , New York , N.Y. 1948-1949. pp ,338 - 340.

(2) سميح فرسون : فلسطين والفلسطينيون، المرجع السابق، ص ص 94 – 95.

(3) Bichara Khader : Histoire de la Palestine , tomeII , SNED , Algérie , 1977 , pp 43-52 .

(4) Colloque de juristes Arabes sur la Palestine , La QUESTION Palestinienne , l'imprimerie du ministère de la justice , Alger, 1968 , pp ,57-58 . نظر أيضا

- Elie Kedourie and Sylvia G. Haim : Palestine and Israel in the 19th and 20th centuries , first published by FRANK CASS and company LIMITED ,London , 1982 , pp , 146 , 147

(5) ماجد الحاج، تعليم الفلسطيني في إسرائيل بين الضبط وثقافة الصمت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط $_1$، بيروت 2006، ص، 52.

(6)عوني فرسخ : التحدي والاستجابة في الصراع العربي – الصهيوني جذور الصراع وقوانينه الضابطة (1799-1949)، مركز دراسات الوحدة العربية، ص511.

(7) سميح فرسون : فلسطين والفلسطينيون، المرجع السابق، ص 94.

(8) Leila S Kadi , M. A : Arab Summit conferences and the Palestine problem (1936-1950),(1964-1966) , reesearch centre- Palestine Liberation 0rganisation , Beirut ,1966 , pp ,47-50 .

(9) Elie Kedourie and Sylvia G. Haim : Palestine and Israel in the 19th and 20th centuries , op , cit , 1982 , pp , 144 , 145.

(10) سميح فرسون : فلسطين والفلسطينيون، المرجع السابق، ص 131 .

(11) David Ben –Gourion : La Palestine dans le monde d'appès guerre , éditions de la terre retrouvée , Paris , 1970 , pp

(12) سميح فرسون : فلسطين والفلسطينيون، المرجع السابق، ص 128 .

(13) ماجد الحاج، تعليم الفلسطيني في إسرائيل بين الضبط وثقافة الصمت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت ،2006، ص ص51-52.

(14)Elie Kedourie and Sylvia G. Haim : Palestine and Israel in the 19th and 20th centuries , op , cit , pp , 145 , 147.

(15) ماجد الحاج : تعليم الفلسطيني في إسرائيل بين الضبط وثقافة الصمت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2006، ص56

(16) عالم المعرفة، عدد 213 "عام يفيض بسكانه عرض لأسباب المشكلة وحل جذري لها ،سير روي كالن، ترجمة ليلى الجبالي، الكويت ،1996 ،

(17)علي الدين هلال : الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين (1882 – 1948)، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، 1975، ص 147 .

(18) علي الدين هلال : الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين (1882 – 1948)، المرجع السابق، ص 154 – 156. ينظر أيضا :
SOPHIE A. UDIN : The Palestine year book and Israeli annual , volume IV , zionist organization of america and Palestine foundation fund (Keren Hayesod) , op , cit , pp , 46 -51.

(19) سميح فرسون : فلسطين والفلسطينيون، المرجع السابق، ص 93

(20) علي الدين هلال : الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين (1882 – 1948)، المرجع السابق، ص 156
(21) سميح فرسون : فلسطين والفلسطينيون، المرجع السابق، ص127.
(22) علي الدين هلال : الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين (1882 – 1948)، المرجع السابق، ص ص 160-161. ينظر أيضا :
M. Mossek : Palestine Immigration Policy under sir Herbert Samuel , , first published by FRANK CASS and company LIMITED ,London , 1978 , pp 45-47.
(23) Bichara Khader : Histoire de la Palestine , op , cit , pp 104-117 .
(24) علي الدين هلال : الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين (1882 – 1948)، المرجع السابق، ص 164
(25) علي الدين هلال : الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين (1882 – 1948)، المرجع نفسه، ص ص 168 - 170 .
(26) سميح فرسون : فلسطين والفلسطينيون، المرجع السابق، ص 128 .
(27) عوني فرسخ : التحدي والاستجابة في الصراع العربي – الصهيوني جذور الصراع وقوانينه الضابطة (1799-1949)، ص ص508 – 509.
(28) عوني فرسخ : التحدي والاستجابة في الصراع العربي – الصهيوني جذور الصراع وقوانينه الضابطة (1799-1949)، ص ص675 – 676 .ينظر أيضا :
Groupe d'étude et de recherches : La Palestine en question , éditions SNED , Algérie ,1982 , pp 96-108.
(29) سهيل حسين الفتلاوي : جذور الحركة الصهيونية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت ،2011، ص 128. ينظر: علي المحجوبي : جذور الاستعمار الصهيوني بفلسطين، دار سيراس للنشر، تونس، 1990، ص 132 ينظر أيضا :
Memorandum submitted to the General Assembly of the United Nations , The Palestine problem and proposals for its solution , the Nation Associates , New York ,1947 , pp, 9 -11
(30)عبد الرحيم أحمد حسين : النشاط الصهيوني خلال الحرب العالمية الثانية (1939 – 1945) (الهجرة-التسليح-النشاط الدبلوماسي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص99 .
(31) محمد عزة دروزة : القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ج2، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1995، ص ص 42-43 .
(32) حمد سعيد الموعد : الأبارتيد الصهيوني –دراسة -، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 113.
(33) Elie Kedourie and Sylvia G. Haim : Palestine and Israel in the 19th and 20th centuries , op , cit , 200 -2003 .
(34) ماجد الحاج، تعليم الفلسطيني في إسرائيل بين الضبط وثقافة الصمت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2006، ص53
(35 ماجد الحاج، تعليم الفلسطيني في إسرائيل بين الضبط وثقافة الصمت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2006، ص57
(36) ماجد الحاج، تعليم الفلسطيني في إسرائيل بين الضبط وثقافة الصمت، المرجع نفسه ص55
(37)أسامة الغزالي حرب : مستقبل الصراع العربي – الإسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1987، ص75
(38) Colloque de juristes Arabes sur la Palestine , La QUESTION Palestinienne , op. cit , pp ,57-58 .
(39)تيسير جبارة : تاريخ فلسطين، ط1، دار الشروق، للنشر والتوزيع، الأردن، 1998، ص 327 .
(40) Groupe d'étude et de recherches : La Palestine en question , op , cit , pp 250-273 .
(41) ماجد الحاج، تعليم الفلسطيني في إسرائيل بين الضبط وثقافة الصمت، المرجع السابق، ص ص53 -54
(42) Joel S Migdad : Palestine Society and Politics , princeton university press , USA , 1996 , pp ,26-29 . ينظر أيضا - Elie Kedourie and Sylvia G. Haim : Palestine and Israel in the 19th and 20th centuries ,op , cit , p 201 .
(43) رجا عبد الحميد عرابي : سفر التاريخ اليهودي اليهود (تاريخهم –عقائدهم-فرقهم-نشاطاتهم-سلوكاتهم-الحركة الصهيونية-القضية الفلسطينية)، دراسة نقدية موضوعية، ط1، دمشق، 2004، ص ص 614 – 620 .
(44) Colloque de juristes Arabes sur la Palestine , La QUESTION Palestinienne , op. cit , pp ,64-70. ينظر أيضا - Elie Kedourie and Sylvia G. Haim : Palestine and Israel in the 19th and 20th centuries , op , cit , pp 195 -200 .